الأدب المقارن الأصول والنشأة

1.0

الأستاذة راوية رحايلي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سوق اهراس

إسناد - استعمال غير تجاري : http://creativecommons.org/licenses/by-nc/2.0/fr/

فيفري 2024

قائمة المحتويات

وحدة 5

مقدمة 7

I-بدايات الفكر المقارن 9

آ. بدايات الفكر المقارن عند العرب والغرب.....9

ب. العوامل التي ساهمت في ظهور الأدب المقارن.....10

پ. ظهوره كفرع من فروع المعرفة.....10

ت. الفرق بين التأثر والتأثير.....11

خاتمة 13

وحدة

1. وضع الطالب في المحيط العام للفكر والبحث المقارن
2. الالمام بالظروف المحيطة بنشأة الأدب المقارن عند العرب والغرب

مقدمة

وضع المؤرخ الايطالي فيكو في كتابه (مبادىء علم جديد) قانون عام يحكم تطور المجتمعات،يقول بالتعاقب المنظم للشؤون البشرية أي أن التاريخ يسير بصورة دائرية،لذا من الأسباب والمسببات التي تمت ملاحظتها في المسار المتتبع من طرف الأمم الاستمرار والدوام،فقسم تطور الحضارة والانسانية لمراحل ثلاث :عصر الألهة وعصر الأبطال وعصر البشر،ولكي يتمكن البشر الذين بلغوا مرحلة المجتمع البشري أن يتواصلوا فيما بينهم تشكلت ثلاثة أنواع من اللغات : لغة إلهية ذهنية تعبر من خلال أفعال دينية صامتة أو طقوس إلهية احتفالية،ولغة الشعارات البطولية،والثالثة لغة الكلمات المنطوقة التي تستعملها اليوم كل الأمم.(1)[1][1][1]

I بدايات الفكر المقارن

آ. بدايات الفكر المقارن عند العرب والغرب

هذه النظرية تنطبق أيضا على الآداب فأولى مراحل تكونه هي انتاج اللغة ، وثانيها تنظيم هذه اللغة في أنظمة ووضع مفاهيم ودلالات خاصة بها ،وثالثها مرحلة التفنن من خلال أنساق لغوية يتواصل بها ويتفنن ويبدع في أغراض فنية وهنا يبدأ ما يسمي بالأدب فإذا كان موزونا سمي شعرا وإما فهو نثر..

وإن اتفقت جميع الأمم في استخدامها للغة استخدام فنيا،إلا أن آدابهم اختلفت لاختلاف الأنماط المغلقة المنتجة للغة المتداولة والرموز المتفقة عليها،فظهرت الآداب القديمة في بيئات مغلقة،وظهرت فكرة مايعرف بالشمولية والإقصاء فكل مايكتب بلغة القوم ينتمي لآدابهم ويشملها وماخالف لغتهم يقصى من الأدب والدراسة،"كما سادت النظرة التي يعتقد من خلالها كل شعب أن لغة غيره من الشعوب أقل قدرا،فعبرت اللغة العربية عن هذه النظرة بكلمة 'أعجمي'أي الحيوان غير الناطق أو الأجنبي الناطق بغير العربية،ونجد مثيلتها في اللغات الأجنبية 'بربر'المشتقة من الكلمة اللاتينية 'بربروس' لتشير منذ عصر الإغريق والرومان إلى معنى الأجنبي من ناحية وغير المتحضر من ناحية أخرى" .(2)[2]

فكان الأدب بناء منغلقا ومع مرور الوقت تحول الإبداع الأدبي إلى تقليد ميكانيكي آلي،واستمر الحال حتي القرن 16 عندما بدأت الحياة تتغير في أوربا وظهر تفكير معرفي جديد يقوم على نظرة واقعية وتغير التفكير من منظور غيبي ماورائي إلى منظور واقعي،وفي القرن 17 م عرف الأدب تغيير جذريا ونشأ ما يعرف "بالقوميات "،على فكرة النسب أو الأصل الثابت وفكرة الحدود السياسية والجغرافية والدينية،والعنصر الذي يجمع البشرية فعلا "اللغة"،وهكذا تطورت اللغات المحلية وأصبحت رسمية ،وخرجت أوروبا من النظام الشمولي إلى التعددي ومن النظام الإقصائي إلى التمييزي.

ومع أن الموضوعات واحدة إلا أن طريقة التناول والتعامل معه تختلف من أمة لأخرى ومن أديب لأخر نظرا للموروثات والأنساق الأنثروبولوجية التي كونته،كما أنهم متحوا أيضا من بيئاتهم المحلية ومن مجالاتها المتعددة، فتشكلت القوميات الأدبية الأوربية متقاربة في أشياء ومتباعدة في أخرى،ودارسي الأدب بدأو يدركون أن دراسة الأدب لا تكون داخلية وإنما عن طريق دراسة العناصر الخارجية القديمة منها والحديثة ، ودراسة علاقة التفاعل بين الأدب القومي والآداب القديمة بالدرجة الأولى ثم الآداب الحديثة التي بدأت التفاعل فيما بينها، فانتقلوا من الشمولية و الإقصاء إلى الفردية داخل التعددية وادراكهم بأنهم كتلة من مجموعة الكتل ،والتكامل بين العوامل الداخلية والخارجية وفق نظام لغوي خاص،ونظام جمالي خاص هي معطيات الإبداع الأدبي الجديد وبالتالي تغيرت معطيات دراسي الأداب القومية.وهكذا بدأ يتشكل المفهوم المقارن في الأدب بتتبع عملية الأخذ والعطاء،و دراسة الأدب القومي وعلاقته الأدبية الخارجية بالآداب القديمة و الحديثة.

وفي ق 18م بدأ عهد التبادل السياسي والاقتصادي والفكري والأدبي في فرنسا واطلق علي هذا التفاعل مصطلح" الأدب المقارن"،بناء على تطور وانتشار هذا المصطلح في الميادين الأخرى كـ"علم التشريح المقارن" و"الجغرافيا المقارنة"،وبالنسبة لمفكري ق 19م المكون الأساسي في تحديد القومية هو "اللغة"،وهو العنصر الثابت الذي يجمع الكتلة البشرية ويجعلها تنتظم في ذوق وعلى هذا الأساس اعتبر شرط اللغة شرط أساسي للتميز،فكانت اللغة الفيصل بين قومية وأخرى وذوق وأخر وأدب وأخر...وفكرة الحدود اللغوية في الأدب المقارن كانت قائمة وسائدة،فكل ماهو مكتوب بالفرنسية هو أدب فرنسي ولا يستهلكه إلا الفرنسي،وهو خاص بهم لغرض جمالي خاص ولأنه بلغتهم الخاصة.

فظهر الوعى المقارن في ق 18م "فتوثقت الصلات بين الآداب الأوروبية أكثر مما كانت عليه،واشتد شوق الباحثين إلى التعرف بآداب آخرى لم تكن معروفة كآداب أهل شمال أوروبا وكالأدب الانجليزي والألماني في فرنسا"(3)[3]

أما الأدب المقارن فظهر في بداية ق 19م بالضبط سنة 1827 مع أستاذ بجامعة السوربون "فيلمان" الذي أخذ منذ ذلك التاريخ يستخدمه في محاضراته وقد غلب هذا المصطلح فيما بعد على كثير من المؤلفات والدراسات حتى فرض نفسه على الدراسات المقارنة،وكان الباحث"جون جاك أمبير"من أوائل من نبهوا إلى

الأهمية التاريخية لدراسته.

مع أن المنهج المقارن هو وليد ق 19م إلا أن الفكر المقارن قديم قدم الأدب ذاته، فكانت له صور متعددة في الأدب العربي،ارتبطت بانتاج الأدب وتذوق المتلقين له ،وقفت صور من أحكامهم النقدية على المشابهة والمفاضلة والمقارنة ،ليرجح أحدهم على الآخر أو تفضيل عمله على غيره،فكانت الأسواق الأدبية كعكاظ وغيرها فضاء لمثل هذه الموازنات والمقارنات ،كتفضيل أم جندب لعلقة الفحل على امرئ القيس،والموازنة بين البحتري وأبي تمام أو بين حافظ ابراهيم وأحمد شوقي..،ووجدت مثل هذه المقارنات أيضا في الأدب الفرنسي كالموازنة بين "كورني" و "راسين"و"فولتير"و"راسين"و"باسكال"و"مونتيني"..في حين أن مثل هذه البحوث الموازنة لاتدخل في اطار الأدب المقارن لأنها مبنية على فكرة المفاضلة ولاتتعدى نطاق الأدب واللغة الواحدة.

ب. العوامل التي ساهمت في ظهور الأدب المقارن

- الانتقال من التعليم الديني إلى المدني والنظر إلى آداب الآخرين،كان الهدف من التعليم الديني خدمة العقيدة واهتم بلغة الكتاب المقدس وإن اهتم بالأدب فكوسيلة لفهم الظاهرة الدينية، أما المدني فخدمة الحياة،يهتم بالأدب لذاته ولجماليته ويدرس اللغة بذاتها ولذاتها
- ظهور الطباعة النى ساهمت في توثيق النصوص الأدبية وثباتها وانتشارها
- ظهور وسائل الاتصال كالسفن وتنظيم البريد ...
- الحركة الرومنتيكية في الأدب من خلال بعض مفكريها كمدام دي ستايل التي كان لها الفضل في تعريف الفرنسيين بالأدب الألماني مع عنايتها بتبيان وجوه التشابه والإختلاف،فكانت آراؤها ذات أثر كبير في الدعوة إلى الخروج من نطاق الأدب الواحد في النقد والتحليل،وسانت بوف من خلال اعجابه بمناهج البحث في العلوم التجريبية ومحاولته استخلاص مبادئ منها تصلح منهجا للبحث في النقد الأدبي ،وتأثره بالنظرية العلمية التي ازدهرت آنذاك "الفصائل والأنواع"
- النهضة العلمية والروح العلمية التي سادت القرن 19م ومحاولة تفسيرهم للأدب وفق ظواهر كونية وبشرية وعلمية،كما فعل 'هيبوليت'،'أرنست رينان'...
- الترجمة
- البعثات العلمية
- الثورات والحروب والهجرات(4)[4]

پ. ظهوره كفرع من فروع المعرفة

فظهر الأدب المقارن "فرع من فروع المعرفة يتناول المقارنة بين أدبيين أو أكثر ينتمي كل منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر،وفي العادة إلى لغة غير اللغة التي ينتمي إليها أيضا،بغية الوقوف على مناطق التشابه ومناطق الاختلاف بين الآداب ومعرفة العوامل المسؤولة عن ذلك،والكشف عن الصلات التي بينها وإبراز تأثير أحدها في غيره من الآداب"(5)[5]

فهو كنشاط معرفي أساسه دراسة علاقات التفاعل بين الآداب القومية والآداب الأخرى القديمة والحديثة والفرق بين أدب وأدب اللغة،ووجود علاقة التفاعل ثابتة يمكن البرهنة عليها والسيطرة عليها فلا يمكن أن تكون علاقة آنية بل علاقات تاريخية هناك سابق ولاحق،

وبهذه الموصفات ظهر الأدب المقارن لدراسة علاقات التأثر أوالتأثير ،و"ظاهرة تأثر الآداب فيما بينها ظاهرة قديمة تستوي فيها الآداب القديمة والحديثة الشرقية والغربية ،وجودها يسبق اكتشافها والاعتراف بها ودراستها،فالأدب الروماني تأثر كثيرا بالأدب الاغريقي ومع أن روما هزمت أثينا عسكريا في هذه الفترة فإن أثينا قد انتصرت عليها ثقافيا وأصبحت المحاكاة الرومانية للإغريق طابعا مميزا،بل انتقلت المحاكاة بدورها من خلال الأدب الروماني-اللاتيني إلى الآداب الأوروبية الكلاسيكية التي حرصت على أن تبدأ عصر الإحياء بمحاكاة النماذج القديمة عند هؤلاء القدماء،والأدب العربي تبادل بدوره التأثير والتأثر مع الآداب التي التقى بها بعد انتشار موجة الفتوحات الاسلامية في المناطق التي كان يوجد بها الأدب الفارسي على نحو خاص،أو بعد انتشار موجة الترجمة في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي من الآداب اليونانية والهندية،وقد امتد تأثير الأدب العربي كذلك في أعقاب اتصال الإسلام بأوروبا من خلال الأندلس أو جزر البحر المتوسط أو التجارة أو الحروب الصليبية أو الاستعمار أو البعثات وإحياء حركات الترجمة في العصر الحديث"(6)[6]

ت. الفرق بين التأثر والتأثير

التأثر يأتي من نقص في جانب ما من اللاحق إلى السابق من الجديد إلى القديم كتأثر فيكتور هيغو بالكتاب المقدس، تأثر رمضان حمود بالرومنسية نهل منها وسار على منوالها
التأثير لاضافة شيء جديد من السابق إلى اللاحق،جارسيا ماركيز أثر في الأدباء هذا تأثير،تأثير الدراما الشكسبيرية في الرومنطقيين الفرنسيين.

خاتمة

ذيوع مصطلح "الأدب المقارن"لم يمنع من ظهور مصطلحات آخرى تعبر عن هذا الاتجاه المعرفي ولم يمنع أيضا من اثارة الجدل حول طبيعة الانتاج الأدبي الذي يطلق عليه "الأدب المقارن"،وهل يوجد فعلا ابداع فني يعبر عنه ،وهذا الاختلاف مس أيضا التحديد الدقيق لمفهومه وهذا ماسنحاول الخوض فيه في محاضراتنا اللاحقة بإذن الله.